التشرد والتمثيلات الطبقية في المجتمع في روايتي "سالمين" و"رائحة القرفة" قراءة بنيوية تكونية

د. لطيفة عائض عبدالله البقمي
أستاذ مشارك الأدب الحديث
جامعة الطائف

التشرد والتمثيلات الطبقية في المجتمع في روايتي "سالمين" و"رائحة القرفة" قراءة بنيوية تكونية

لطيفة عائض عبدالله البقمي

قسم الأدب الحديث – جامعة الطائف

البريد الإلكتروني : naj-lat009@hotmail.com

ملخص البحث :

تسعى هذه الدراسة **لتسليط الضوء على الشخصيات المشردة والفقيرة ؛لتقديم صورة عن حياة التّشرد في الرواية العربية** وتحديدا في روايتي "**سالمين**" لعمار باطويل، و"**رائحة القرفة**" لسمر يزبك. تتكون الدراسة من مقدمة، وثلاثة محاور **جاءت كالتالي: المحور الأول جاء بعنوان (الخطاب الروائي والتمثيل الطبقي)** وفيه نناقش قضية تصوير الرواية للمجتمع النيولبرالي وافتقاده للقيم الإنسانية وتأثيرها في المجتمع، **المحور الثاني بعنوان (بنية الصراع الطبقي وأثره في تشكل الشخصية المشردة)** وفيه نناقش تشكل الصراع الأيديولوجي بين الشخصيات في النصوص الروائية، وأهم سماتها الفنية. **المحور الثالث بعنوان:(اللغة والأسلوب وتشكل سلطة الخطاب)** وفيه نناقش سمات اللغة والأسلوب في رواية التشرد. **ثم خاتمة البحث ونتائجه** وفيه لخصت أهم نتائج البحث التي توصلت لها .

الكلمات المفتاحية : التشرد – التمثيلات– الطبقية – سالمين – رائحة القرفة"

Homelessness And Class Representations In Society In The Novels “Salmin” And “The Smell Of Cinnamon” A Structural Structural Reading

Latifa ayed abdullah al-baqmi
Department of modern literature - taif university
E-mail: naj–lat009@hotmail.com

Abstract :
This study seeks to shed light on the homeless and poor personalities, to provide a picture of homelessness in arabic novel specifically in two novels one of them is called salmeen by ammar bataweel and another is called smell of cinnamon (raaiht alqhwoah) by samer yazbik. The study consists of an introduction and three axes: the title of the first axis (the novelist speech and class representation) that we discuss the issue of the novel’s portrayal of the neoliberal society and its lack of human values and their impact on society. The second axis is entitled (the structure of class conflict and its effect on the formation of the displaced personality) which we discuss the formation of the ideological conflict between the characters in the narrative texts, and their most important artistic features. The third axis is entitled: (language and style and the formation of the authority of the speech), in which we discuss the features of language and style in the narration of displacement. Then the conclusion of the research and its results, which summarized the most important results of the study.

Keywords: Homelessness - Representations - Stratification - Unharmed - The Smell Of Cinnamon

مقدمة:

يسعى هذا البحث لدراسة نصوص روائية حديثة ومعاصرة، تعيد قراءة الذات من أجل اكتشافها، وتجاوز تناقضاتها من أجل التأسيس لمجتمع واعٍ قادر على التواصل مع الآخر .ومع زيادة أثر النيوليبرالية على المجتمعات، والقطيعة التي حدثت بين طبقات المجتمع لا تزال الهوة تتعمق بينهما. وانطلاقا من هذا المنظور تسعى هذه الدراسة لدراسة ظاهرة التشرد والفقر من خلال النصوص الروائية –موضوع الدراسة–ويأتي اختيارنا لمدونة الرواية العربية؛ لأن الرواية تعد" **أكثر الأجناس الأدبية حداثة زمنيا، في الهامش كما المركز، وإن نشوءها هو الأكثر قابلية للتاريخ... ولئن كانت الأنظمة الحاكمة في الهوامش المنخرطة في الشرط الامبريالي قد حصنت نفسها بخطاب تبريري ودوغمائي إلى أبعد الحدود فإن الرواية قد سعت جهدها منذ أن مكنت لسردياتها جمالياً وثقافياً، أن تفضح هذا الخطاب وتفككه وتفرغه من جدواه، وتكشف خواءه الروحي وزيفه الفكري**"[١] ويصف غولدمان الرواية بأنها :" **قصة بحث عن قيم أصيلة بصيغة متدهورة ، وفي مجتمع متدهور ، ويتجلى هذا التدهور أساسا وبخصوص البطل في الوساطة، وفي اختزال القيم الأصيلة، إلى المستوى الضمني، ثم اندثارها باعتبارها حقائق أكيدة** "[٢]؛ لذا اتجه المثقف العربي لمحاولة إنتاج خطاب جديد، حيث أصبح قادرا على التحرر من الانتماء الطبقي، ومفصولا عن المصالح الفئوية وعن الطبقات والتصنيفات المسبقة، وبعيدا عن تأويلات الأيدلوجيا، إنه الإنسان الأعلى الذي يستطيع وحده الوصول إلى المعرفة الموضوعية، إن الجهة الاجتماعية الوحيدة القادرة على التحرر من الشرط الاجتماعي للمعرفة هي تلك التي يسكنها

١ سعيد، إدوارد : الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب بلبنان ط٢٠٠٤/٣، ص ١٣٩.

٢ غولدمان، لوسيان، وآخرون : البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١٩٨٦/٢، جانفيف موبيو، تعريف سوسيولوجي للرواية ، ص ١٠٧.

المثقف ويغذيها بأفكاره التنويرية والإنسانوية[١] .

أهمية الدراسة :

تأتي أهمية الدراسة لإلقاء الضوء على موضوع التشرد والفقر في الرواية العربية؛ للتعبير بطرق ورؤى مختلفة عن الإنسان المتشرد، حيث يكاد التشرد يتحول إلى ظاهرة في بعض المجتمعات العربية نتيجة التحولات الاجتماعية والطبقية الكبيرة؛ لذا جاء اختيارنا لنص رواية (سالمين) لعمار باطويل، ورواية (رائحة القرفة) لسمر يزبك لدراسة هذا الموضوع . **وتأسيسا على ما تقدم تحدد الباحثة مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية :**

١- كيف استطاعت الرواية تجسيد الواقع الاجتماعي ؟

٢- ما سر التعالق الموجود بين بنى المجتمع والوعي السردي للمبدع ؟

٣- كيف تكون الصراع الطبقي وما أثره في تشكل الشخصية المشردة ؟

منهج الدراسة : اعتمدت هذه الدراسة على المنهج البنيوي التكويني .

حدود الدراسة : يتناول البحث دراسة روايتي (سالمين) للكاتب اليمني عمار باطويل ورواية (رائحة القرفة) للكاتبة السورية سمر يزبك .

مصطلحات الدراسة والتعريف بها :

١- **رواية التشرد novel vagrancy**: ليس هناك تعريف دقيق للتشرد، وتشير كلمة تشرد في المعاجم اللغوية إلى معنى الهروب، ومنه شَرَدَ البعير إذا نفر وذهب في الأرض والتشرد صفة منها[٢]. والتشرد خروج عن مألوف الحياة الاجتماعية الكريمة وانتهاج طرق التسول[٣]، ويعرف

---

١ لحمداني ، حميد : النقد الروائي والأيدلوجيا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١/١٩٩٠، الصفحات ١٥و٢١.

٢ ابن منظور : لسان العرب ،دار صادر بيروت ١٩٩١، مادة (شرد)

٣ عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول ،ط١/٢٠٠٨، عالم الكتب ، ص ١١٨٣.

أحمد زكي التشرد في معجم المصطلحات والعلوم الاجتماعية: "هو ألا يكون للمرء محل إقامة معروف ولا وسائل معيشية ولا مهنة ولا عمل وركونه إلى الخمول رغم قدرته على العمل وعيشه على التسول والصدقات"[١]، وتنبع أهمية دراسة التشرد للآثار المترتبة عليه فهو يعد آفة اجتماعية خطيرة تؤدي إلى ظهور العنف والجريمة والتأثير على المجتمع. والتشرد يمثل ثقافة فرعية Sub culture تتداخل مع الثقافة الفرعية للفقر Poverty، والجنوح Delinquency، والجريمة Crime.[٢] التشرد كان ولا يزال سمة واضحة في كثير من العواصم العالمية والعربية . وقد تطور شكله عبر الزمن فتحول من كونه يخص أبناء الطبقة الفقيرة والمهمشة إلى بيئة تستوعب حالات اجتماعية جديدة ناتجة من سوء الأوضاع الاقتصادية كالبطالة والفقر، أو سوء الأوضاع السياسية كالهجرة غير الشرعية، واللجوء، والحروب. ولعل من أهم الروايات العالمية التي عالجت قضايا المشردين وحياتهم رواية مكسيم غوركي(١٨٦٨-١٩٣٦) "المتشردون" الذي عاش حياة التشرد والضياع واستطاع أن يعرض علينا صفحة من حياته وحياة زملائه القدامى، وقد صور لنا نماذج إنسانية ممن عاش هذه المأساة.[٣]

ويمكن تعريف رواية التشرد إجرائيا في هذه الدراسة بأنها: الرواية التي تبحث في قضايا التشرد والفقر، وتتناول أوضاع المهاجرين والمشردين المزرية، وحلمهم في عيش حياة طبيعية، تقترب رواية التشرد

١ بدوي، أحمد زكي : معجم المصطلحات والعلوم الاجتماعية، د.ط، بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٢، ص ٤٨٣.

٢ حسن، وسن محمد : ظاهرة تشرد الإناث بين التهميش والاندماج، دراسة ميدانية دار تأهيل الأحداث المشردات في مدينة بغداد، مجلة كلية التربية للبنات ، المجلد ٢٥(٤) ٢٠١٤.

٣ غوركي، مكسيم : المتشردون، ترجمة: عبدالمعين الملوحي، دار نينوى، سورية-دمشق،ط١/٢٠١٦، مقدمة المترجم (بتصرف)

من فضح الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات، وتتناول وصفا دقيقا للشخصيات من جوانبها المختلفة (السيكولوجية والاجتماعية) وشخصياتهم التي غيرها الفقر والعوز وأبعدها عن الضوابط الأخلاقية المطلوبة.

٢- **رؤية العالم** : يذهب **لوسيان غولدمان** (١٩١٧-١٩٧٠) إلى أن العنصر الأساس في دراسة الإبداع الأدبي يكمن في كون الأدب والفلسفة، على صعيدين مختلفين تعبيرين عن رؤية العالم، وأن رؤى العالم ليست أحداثا فردية بل أحداثا جماعية [١] . يحدد غولدمان رؤية العالم بأنها : "**المجموع من التطلعات، والمشاعر، والأفكار التي تجمع بين أعضاء المجموعة الواحدة، وغالبا الطبقة الاجتماعية الواحدة وتعارضها مع المجموعات الأخرى**"[٢] أما مفهومها الإجرائي النقدي فيأتي" **بوصفها أداة عمل إدراكية ضرورية لفهم التعبيرات المباشرة لفكر الأفراد، وتظهر أهميتها وواقعيتها حتى على المستوى التجريبي عندما نتجاوز فكر كاتب واحد وأعماله** .."[٣] .أما مصطلح البنيوية التكوينية، فلم يكن من وضع الناقد "**غولدمان**" بل استعاره من أستاذه العالم النفسي جان بياجيه Jean Peaget (١٨٩٦-١٩٨٠) فنراه يؤكد ذلك بقوله: " لقد حددنا المنهج الإيجابي في العلوم الإنسانية وبصورة أكثر تحديدا، المنهج الماركسي بمساعدة مصطلح يكاد يكون متطابقا

١ غولدمان، لوسيان : الإله الخفي، ترجمة د. زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة والإعلام، دمشق ٢٠١٠، ص ١٣.

٢ غولدمان ، لوسيان : الإله الخفي ، مرجع سابق ، ص ٤٦.

٣ غولدمان، لوسيان : الإله الخفي ، مرجع سابق ، ص ٤٢.

معه (والذي استعرناه من جان بياجيه) وهو مصطلح البنيوية التكوينية "[1] .

يتشكل المنهج البنيوي التكويني من خمس نقاط تشكل فرضيات المنهج وهي كالتالي:[2]

١- العلاقة بين الحياة الاجتماعية والخلق الأدبي لا تتصل على مستوى المضمون وإنما تتصل بالأبنية العقلية أساسا، أي بما يسمى المقولات التي تشكل الوعي الجماعي، والعالم التخييلي الذي يخلقه الكاتب؛ حيث أن العلاقة بين العالمين هي علاقة تماثل لا تعارض .

٢- إن البنى الذهنية ليست ظواهر فردية، وإنما هي ظواهر اجتماعية تنتجها ذات جماعية تسعى إلى خلق حلّ دال لها .

٣- إن البنى الذهنية ليست أبنية واعية أو لا واعية بالمعنى الفرويدي للكلمة، بل هي عمليات أو أنشطة غير واعية مماثلة لتلك العمليات المتحكمة في بنى الأعصاب والعضلات وبالتالي لا يمكن فهم العمل الأدبي عن طريق تحليل محايث أو بدراسة سيكولوجية للكاتب، وإنما عن طريق بحث على النمط البنيوي الاجتماعي .

٤- إن البنى الذهنية تمثل الطبيعة الأدبية الحقة للعمل الأدبي في أنها تحقق له الوحدة ودرجة من الانسجام مع الطموحات التي ينزع إليها الوعي الجماعي أو ما يسمى برؤية العالم

٥- إن العلاقة بين وعي المجموعة الاجتماعية وعالم العمل الأدبي تؤسس تماثلا إلى حد كبير وعلاقة بسيطة دالة في أغلب الأحوال ، ولذلك قد

---

١ البحري، حمد الأمين: البنيوية التكوينية ، من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، منشورات الاختلاف الجزائر ، ط١/٢٠١٥ ص١٣٥.

٢ غولدمان، لوسيان : علم اجتماع الأدب ، منشور ضمن كتاب تيارات نقدية محدثة ، اختيار وترجمة وتقديم جابر عصفور، ط٢/٢٠٠٩، المركز القومي للترجمة ، ص ١٠٩-١١٠.

يحدث في هذه الأحوال أن تتماثل مضامين متغايرة الخواص تماما بل متعارضة أو توجد هذه المضامين المتعارضة في علاقة شاملة على مستوى أبنية المقولات؛ لذا يمكن أن يتماثل في بنية مع تجربة مجموعة اجتماعية بعينها أو يرتبط بهذه التجربة ارتباطا دالا على أقل تقدير وليس هناك –والأمر كذلك– أي تناقض بين وجود علاقة محكمة تربط الخلق الأدبي بالواقع الاجتماعي والتاريخي من ناحية والخيال الخلاق من ناحية أخرى .

المحور الأول : الخطاب الروائي والتمثيل الطبقي :

تتجه الرواية لتقديم تصورات علمية للحياة والمجتمع من خلال تجارب الأفراد الذين يشكلون المجتمع المكون من طبقات اجتماعية مختلفة وما يعتري كل طبقة من هذه الطبقات من مشاكل وعوائق وأحلام وطموحات لذا " **يرى غولدمان أن هناك بنيات مقولية أو بنيات ذهنية هي التي تحكم سلوك المجموعة الاجتماعية وفكرها[...] إن الأمر إذن يتعلق بوعي جمعي يشترك فيه أفراد المجموعة الاجتماعية [...]فعندما نريد دراسة وقائع الوعي الجماعي أو بدقة أكثر درجة التلاؤم مع الواقع لدى وعي مختلف الفئات المكونة لمجتمع ما، فإنه يلزم البدء بالتميز الأولي بين الوعي القائم بما له من مضمون ثري متعدد، وبين الوعي الممكن باعتباره الحد الأعلى من التلاؤم الذي يمكن أن تدركه الجماعة بدون أن تغير طبيعتها**"[١]. العمل في البنيوية التكوينية ليس مجرد انعكاس للواقع بل هو تعبير متجانس عن أقصى التلاؤم مع الحقيقة الذي يمكن لمجموعة اجتماعية أن تصل إليه أي عن وعيها الممكن الأقصى وعن رؤيتها للعالم[٢]، لذا " **فتجربة الفرد ليست إلا وجها**

١ غولدمان، لوسيان : العلوم الإنسانية والفلسفة ، مرجع سابق ، ص١٥– ١٦.

٢ غولدمان، لوسيان: العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة د.يوسف الانطكي، مراجعة د.محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦،ص ١١

جزئيا في الإبداع إذا أن المبدع الحقيقي هو (النحن)، هو الذات الجماعية التي تلائم رؤيتها للعالم بنية العمل الفني"[١]، فليست حرية الكاتب حرية فردية مطلقة؛ لأن الكاتب "**ليس إلا فردا يندغم ضمن مجموعة يشاطرها وتشاطره نفس القضايا ونفس الحلول ولذلك فهو لا يعبر عن فرديته مؤسسا بذلك حريته الخاصة، بل يعبر في العمق عن ذات فوق فردية تمتلك بنية مقولية متجانسة**[...] **فكل عمل أدبي أو فني متميز هو في العمق تعبير عن هذه الرؤية وتجسيد لها شريطة أن ينظر إلى هذا العمل في كليته مادام هيغل يؤكد أن (الحقيقي هو الكل)**" [٢]. ويذهب غولدمان إلى تأثيرات القيم البورجوازية على الرواية ومنها تأثير التشيؤ على الوعي الفردي والجماعي الذي سمح بحدوث أثر انعكاسي، أي نقل ما في الحياة اليومية من ظواهر اجتماعية واقتصادية إلى الأدب نقلا مباشرا ، لكنه قدم فرضية التوسط بالتجربة الفردية للروائي الذي يواجه في صميم عمله تناقضا بين الهدف المباشر للنص المنتج وبين عجزه عن انتاج هذا النص باعتباره غير سلعة[٣] .ويذهب **جورج لوكاتش** Georg Lukacs(١٨٨٥-١٩٧١) إلى أن الرواية هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي ، وهي تعبر عن كفاح الإنسان في سبيل وجوده لمواجهة التحديات " كلما تحولت الرواية إلى تجسيد ونقد إبداعي، ونقد ذاتي للمجتمع البرجوازي ، كلما صار من الحتمي أن تطغى عليها النبرات اليائسة بشأن التناقضات التي لا حل لها في المجتمع الذي تعيش فيه .."[٤]

تصور الروايات-موضوع الدراسة- المجتمع الطبقي وتأثيره على القيم

١ غولدمان، لوسيان : العلوم الإنسانية والفلسفة ، مرجع سابق ، ص١١.

٢ غولدمان، لوسيان : العلوم الإنسانية والفلسفة ، مرجع سابق، ص١١وصفحة ١٧.

٣ غولدمان، لوسيان : البنيوية التكوينية والنقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٠٩-١١٠.

٤ لوكاتش، جورج : الرواية ، ترجمة مرزاق بقطاش ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ط، د.ت، ص ٥٠.

الإنسانية ففي" **المجتمع الرأسمالي التكنوقراطي تفقد كل القيم خاصيتها الإنسانية وتعوض بقيمة مطلقة ووحيدة هي قيمة التبادل، ويسعى الوعي البروليتاري إلى تجاوز هذه القيمة واستبدالها بقيم إنسانية حقيقية**"[١]. وإذا ما نظرنا إلى الأبطال في الروايتين نجد" **أبطالا اشكاليين كانوا يسعون بشكل منحط إلى تأصيل قيم إنسانية في مجتمع مهترئ القيم، كما أن الهيمنة البارزة لوصف الأشياء في الرواية الجديدة[...] تؤشر إلى التشيؤ الحقيقي للقيم في المجتمع الرأسمالي** .."[٢].فيعمّ الاستغلال والفحش والفردانية والتعطش للقوة والثروة، وهي سمات الرواية البرجوازية وهي تعني عند لوكاتش: "الرواية البرجوازية هي صراع لا هوادة فيه ضد كل شكل من أشكال الاضطهاد والاستغلال في المجتمع الرأسمالي"[٣]. تبنى غولدمان مفهوم البطل الإشكالي من أستاذه لوكاتش[٤]، ويذهب فيصل دراج إلى أن لوكاتش أخذ بفكرة البطل الإشكالي وبنى عليها معنى الشكل الروائي والفرد المغترب الذي يعين الشكل الروائي ، لا ينوس بين الشك واليقين، بل يضطرب مبددا بين ذاته والجماعة، أو بين ذاته والعالم ، حيث لا رابطة إلا التناحر والمنازعة، وعن هذا العالم الذي لا يرحب بالإنسان ، ولا يقصيه من أركانه تماما ، يصدر الشكل الروائي ، أو تتكون بنية دالة تتحدث عن فرد أضاع الطريق الذي يبحث عنه ، وعن عالم يولد الفرد فيه، ويسلب منه الطريق الذي يشاء "[٥].

---

١ غولدمان، لوسيان : العلوم الإنسانية والفلسفة ، مرجع سابق، ص ١٨.

٢ مقولة التشيؤ لم تحتل مركز الصدارة في أعمال غولدمان الأولى التي هيمنت فيها مقولة الرؤية للعالم ، إنما فرضتها طبيعة الموضوع المدروس انظر: غولدمان، لوسيان : العلوم الإنسانية والفلسفة، مرجع سابق ، ص١٩.

٣ لوكاتش، جورج : الرواية ، ترجمة مرزاق بقطاش، مرجع سابق، ص ٩٦.

٤ غولدمان، لوسيان: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة بدر الدين عروكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريا، ط١/١٩٩٣، ص١٤.

٥ دراج، فيصل : نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٩، ص ٣٩-٤٠.

أ–رواية سالمين : تبدأ الرواية بضمير المتكلم " فضمير المتكلم يحيل على الذات بينما ضمير الغائب يحيل على الموضوع (الأنا) مرجعية جوانية، و(هو) مرجعية برانية"[١]، يبدأ السرد على لسان الشخصية (حمد) الذي ينقل الحدث من زاوية رؤيته، حيث نتابع معه التحولات التي حدثت في حياته منذ وفاة والده وتفكيره في الهجرة ثم انتقاله للعمل بالتجارة في مدينة جدة، يتشارك الصوت سارد آخر مشارك في الحدث وهو (سالمين) الذي يصف لنا حياته في خدمة والد حمد وأسرته ثم انتقاله إلى أملاك سيده حمد بعد وفاة والده، وهجرته مع سيده إلى جدة، يبدأ التحول في حياته بعد أن أعطاه سيده الحرية واشترى له الجنسية، وعلى هذا المنوال تأتي فصول الرواية ويتكرر التنقل بين صوت الساردين (حمد/سالمين) ولعل الكاتب لجأ للتنقل بين الصوتيين؛ ليتخلص من النظرة الأحادية، وليغني الحدث بوجهات نظر مختلفة، لشخصيات مثلت هويات متباينة تباعدت زوايا نظرها لتختصر الواقع الاجتماعي، ورأى كل منهم الحدث من زاويته ووفق منظوره. وفي تصوري أن الكاتب وفق في الاستعانة بضمير المتكلم لما له من قدرة على "التوغل في أعماق النفس البشرية ، فيعريها بصدق ويكشف عن نواياها بحق، ويقدمها للقارئ كما هي لا كما يجب أن تكون"[٢]، (سالمين) رواية وثائقية وشهادة لشخص عانى حياة الفقر والعبودية . الرواية تصف حياة الفقراء في حضرموت الذين اضطرتهم الحياة إلى البحث عن أماكن أخرى للعيش والعمل، انتقل عدد كبير منهم للبحث عن فرص أخرى للعيش، سافر البعض إلى الشرق وتحديدا إلى جاوة، وكان منهم التاجر (صالح) والد (حمد) الذي سافر وترك زوجته وابنه في حضرموت، تزوج البعض منهم بالجاويات وظلوا يعملون بالتجارة حتى جاءت الحرب العالمية التي دفعت بالكثير منهم للعودة إلى حضرموت أو المشاركة في الحرب . قرر

١ مرتاض، عبدالملك : في نظرية الرواية ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٨، ص١٥٣وما بعدها .
٢ مرتاض، عبدالملك : في نظرية الرواية ، مرجع سابق ، ص ١٥٩.

التاجر (صالح) البقاء في جاوة والمشاركة في الحرب فأرسل رساله إلى ابنه حمد يخبره فيها بأنه سيبقى في جاوة و سيرسل أخته (خديجة) لرعايتها فالأوضاع في جاوة لم تعد مستقرة . سافرت (خديجة) إلى حضرموت والتقت بأخيها حمد، الذي تولى رعايتها وتعليمها اللغة العربية، سعد حمد بوجود خديجة التي ادخلت السرور على قلبه بعد موت أمه وبقاؤه وحيدا، كانت خديجة بالنسبة لأهل القرية الفتاة الجاوية المولدة التي قدمت من جاوة، فظلوا يتغامزون فيها بسبب شكلها ولون بشرتها المختلف ولغتها المكسرة، فكر حمد بتزويج خديجة فعندما تقدم ابن عمها لخطبتها وافق على الفور، وصلت الأبناء من جاوة تفيد بموت التاجر صالح في اليابان، فقرر حمد ترك حضرموت والهجرة إلى جدة للبحث عن مكان أفضل للحياة خاصة بعد موت الكثيرين في حضرموت بسبب الأمراض والفقر، طلب العبد (سالمين) –الذي اشتراه والده صالح من وادي حجر وعمل لديه بزراعة النخل – السفر معه بعد أن اصبح من أملاك حمد بعد وفاة والده، سافر حمد إلى جده مصطحبا العبد (سالمين) الذي عمل عنده بالتجارة، اشترى له الجنسية السعودية بقيمة مليون ريال ، وأعطاه بعض الأموال ليعمل بالتجارة، كوَّن سالمين عملا تجاريا وجنى مالا وفيرا من عمله جعله يتمرد على لونه الأسود وأصله الأفريقي، فأنفق الكثير من الأموال على النساء البيض البشرة، وتزوج وانجب ابنا اسماه (سالمون) وحذره من الزواج إلا بالجنس الأبيض؛ لأن اللون الأسود يذكره بعبوديته، انجب سالمون عددا من الأحفاد أسماهم بأسماء الأسياد كما طلب منه والده سالمين، فسماهم (طلال، سلطان، مازن، هيثم)، وعلى الرغم مما وصل إليه سالمين من ثروة وأملاك ومال وفير ظل يعاني نظرة المجتمع الذي لا يسميه إلا (بالعبد) حتى أسرة سيده حمد بعد وفاته، ظلت زوجته سوسن المكاويه وابنه حسن يصفانه بالعبد، إنه تجسيد لصراع الإنسان(سالمين) ضد المجتمع الذي ما زال يصمه بالعبد ، نظرا لأصوله حتى بعد أن حصل على الثروة .

ب–رواية "رائحة القرفة" : تبدأ الرواية بضمير الغائب الذي عده مرتاض سيد الضمائر السردية وأكثرها تداولا بين السُّراد فهو يرى أنه وسيلة صالحة؛ لأن يتوارى وراءها السارد فيمرر ما يشاء من أفكار وآراء دون أن يبرر تدخله المباشر، يفصل بين النص السردي والسارد ، ويجعل المتلقي واقفا تحت لعبة اللغة الفنية فيظن أن ما يحكيه السارد وقع بالفعل، وأن السارد مجرد وسيط بينه وبين أحداث السرد[1]. تذهب سمر يزبك إلى تصوير حياة الفقراء ومستقبلهم الذين صاروا يبحثون عنه في حاويات النفايات.(عليا) التي كانت تنتشل لقمتها من الحاويات قبل أن تعمل خادمةً عند حنان بعد أن أرغمها والدها على العمل في سن صغيرة . الرواية تكشف عن مأساة (مواطن/ إنسان) لا يعيش حياة تليق بكرامته. إنها تجسيد للصراع الطبقي بين شخصيتين: (حنان الهاشمي) التي فرَّت إلى غرائزها من جحيم (الذكورة) إلى جحيم الفعل الأخلاقي المنافي لقوانين الطبيعة التي تربط بين جسدين مثليين. حنان الهاشمي في مثليتها في الرواية تحاول افراغ كبتها و قلقها وجنون أحاسيسها في (جسد الآخر) باعتبار أنَّ جسدها لم يعشْ تجاربه ويشبع شهواته، في إشارة إلى عجز زوجها (ابن عمها) الذي ارغمتها أسرتها على الزواج منه. استغلت عليا بوعي منها أو بدون حاجات (حنان) ثم حاجات (زوجها) فكانت حياتها صراع مستمر بين الضوء والظلام، والصباح والمساء، ففي الصباح تقوم بالخدمة وفي المساء تتحول إلى ملكة (الملكة الوحيدة)، ملكة متوجه وما في ذلك من اشباع لغريزة التملك الذي افتقدتها بحكم ظروفها المعيشية، كانت منذ الصغر تخاف على أشيائها وتسعى للدفاع عنها من اقرانها في الزقاق القذر الذي عاشت فيه، وها هي الآن تتوج ملكة على منزل حنان وزوجها، وبعد اكتشاف حنان لخيانة عليا –في نظرها– تطردها من المنزل وتلقي بها في

١ مرتاض، عبدالملك : في نظرية الرواية ، مرجع سابق ، ص ١٥٩.

الشارع محاولة محوها من حياتها" **اغلقت بابها وراءها جلست تحاول السيطرة على لهاثها الذي يتصاعد من جديد ، قررت أن تمحو عليا من حياتها نهائيا، وكأنها لم تكن يوما** "[١]

ج- **بين سالمين ورائحة القرفة** : تتشابك الخطابات حول قضايا الفقر والتشرد وظروفهم الحياتية ومدى تأثيرها على الشخصية، يعرض عمار باطويل في (سالمين) لشخصية سالمين العبد الذي اشتراه سيده ثم اعتقه واشترى له الجنسية السعودية ، ليتحول بعد ذلك لأهم التجار في مدينة جدة، لكنه يظل مدينا لماضيه الذي نغص عليه حاضره، فلا تزال العبودية تلاحقه، حتى كان حضوره خافتا في المجتمع، فعلى الرغم من ثروته التي حققها لم يقدم ما يمكنه أن يسهم في مساعدة الفقراء والمعوزين في مجتمعه حتى صديقة في العبودية(مبروك)،حيث تحول إلى ثري جشع وجبان، باطويل يقدم لنا في هذه الرواية تحول القيمي والأخلاقي لهذه الفئة من خلال شخصية سالمين. أما سمر يزبك في (رائحة القرفة) فتأخذنا مع علياء فتاة أكوام الصفيح الفقيرة المشردة التي سلمها والدها وهي طفلة لتعمل عند السيدة حنان، التي تستغلها ثم تطردها بعد اكتشافها لخيانتها مع زوجها فتتجه مرة أخرى لحياة الشارع وإلى مستنقع الرذيلة والفساد، سمر يزبك في روايتها لا تقدم حلولا لهذه الطبقات المهمشة في المجتمع إنما تصف لنا وبدقة من خلال أدواتها الروائية الحياة الصعبة التي تعيشها هذه الفئات، وتبقي الباب مفتوحا أمامنا للتعاطف مع هذه الفئات .

١ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، دار الآداب ،ط٣/٢٠١٥، ص ١٢

المحور الثاني : بنية الصراع الطبقي وأثره في تشكل الشخصية المشردة:

إن مهمة العلوم الإنسانية بحسب جوديث باتلر هي: إعادتنا إلى الإنسان الذي لا نتوقع أن نجده في هشاشته وفي حدود قدرته على المنطق، وظهور الإنسان وتلاشيه في حدود ما يمكن أن نعرفه، وما يمكننا أن نسمعه، وما يمكننا أن نراه، وما يمكننا أن نشعر به[1] .ويرى الناقد الفني هال فوستر الذي استعرض الأعمال الفنية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين أنه لا يوجد مفهوم [يفهم] العقد الماضي، ولكن هناك شرطًا شاركه هذا الفن وهو أن الهشاشة – عدم الأمان الاجتماعي والاقتصادي في الغالب– ليست ظاهرة جديدة، ولكنها تسارعت من خلال تجاوزات الليبرالية الجديدة، وانتشرت على نطاق واسع ، وأدت إلى عدم الأمان المتزايد الذي حاول الفن إظهاره، ومن المفارقات أن الهشاشة تبدو مفيدة في الكثير من الأعمال الفنية، حيث أنها تحول في بعض الأحيان هذا المنهك إلى جاذبية قاهرة[2]؛ لذا اهتمت الرواية بتجسيد هذه الهشاشة الأخلاقية من خلال طرح العديد من القضايا المرتبطة بالوعي الطبقي، والصراع بين الطبقات، التي أفرزت العديد من الظواهر الاجتماعية كظاهرة التشرد والفقر التي برزت في العديد من النصوص الروائية. وإذا سلمنا جدلا أن النص الروائي يعد كتابة نوعية لجملة النصوص الاجتماعية التي تتضمن ما يقول به المؤرخون وعلماء الاجتماع، وما يقول به الإنسان العادي أولا [3]. تتجه روايتي (سالمين) و(رائحة القرفة) لتصوير هذا

1 Butler, Judith. Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence. London: Verso, 2004. Couldry, Nick. Why Voice Matters: Culture and Politics after Neoliberalism. London: Sage،2010.

2 Foster, Hal. “Towards a Grammar of Emergency.” New Left Review 68 (2011): 105 – 118.

“Precarious: Hal Foster on the Art of the Decade.” Artforum 48.4 (December 2009): 206 – 209, 260.

٣ دراج، فيصل: الذاكرة القومية في الرواية العربية من زمن النهوض إلى زمن السقوط، مركز دراسات =

الصراع، يحاول (باطويل) في رواية (سالمين) تجسيد صورة البطل المهزوم المستسلم لمصيره المحتوم وهو ما يمكن تسميته (الاذعان للمصير)كما جاء عند لوكاش حين يستسلم البطل لمصيره، و يعترف بضعفه وانهزاميته وانعدام الأمن لديه. ثم تأتي شخصية (عليا) في رواية (سمر يزبك) (رائحة القرفة) مشابه لها إلى حد كبير، تقدم الروايتين صورتين مختلفتين لرؤية التشرد والعبودية في العالم الثالث، ثم التركيز على عدم مساواة الرأسمالية المتأخرة في العالم الأول. تزيد (سمر يزبك) من تعقيد هذا الأمر، في (رائحة القرفة)حين تتحول شخصية (عليا) إلى (جسد للمتعة) باستغلالها جنسيا (عبودية الجسد) من قبل (حنان) ، فالروايتان تصوران بشكل واضح وصريح ما يمكن أن يفعله الأغنياء بالفقراء، حين يظنون أن لهم الحق في امتلاك أجسادهم، فالجسد هدف للتدجين كما يذهب لذلك **ميشال فوكو**(١٩٢٦-١٩٨٤)، حيث يتمُّ استهلاكه وتجدينه كما فعلت (حنان) مع (عليا). صورت الروايتين الصراع الطبقي والأيدلوجي على أعتاب هذا العقد (العقد الواحد والعشرين) المحفوف بالمخاطر إنهما يصوران حياة التشرد والفقر والحرمان، يصوران ذلك بطرق مختلفة لرؤية المشردين والمحرومين .ولعل أول انتكاسة واجهت سالمين، عندما حُمل إلى السوق للبيع بسبب تراخيه في عمله وهذه الصدمة أثرت في نفسه فنراه يشير إلى ذلك بقوله : " **لم أكن أنا الوحيد من العبيد في سوق بضة للبيع بل وجدت هناك صغارا من العبيد كانوا معروضين للبيع ...تتداخل الأصوات في أذني ، أشاهد الوجوه أكثر بشاعة من ذي قبل ..وقفت أنا لوحدي تحرقني شمس دوعن اللاهبة انتظر مصيري** "[١] إنها عملية بيع وشراء الإنسان في مجتمع افتقد القيم الإنسانية، فكل شيء قابل للعرض والطلب

=

الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٨ص ١٥.

١ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، دار فضاءات ، عمان الأردن ، ط١/٢٠١٥، ص ٢٦ .

شعور سالمين بالإهانة والذل لتلك الوصمة التي ظلت عالقة في ذهنه ونفسه يقول:" **ارهبتني عملية البيع، وأذلتني أكثر، انظر لنفسي بإهانة، أنا أصبحت رجلا مهانا لا قيمة لي، أصبحت مثل الأغنام التي تباع وتشترى، تمنيت أن أكون شيخا أو سيدا أو قبليا، أو أي شيء لا يباع، تمنيت أن أحمل صفة غير صفة العبودية، ولون غير اللون الأسود** "[١] ،ثم وبعد إلحاح من سالمين على سيده حمد وبعد سؤاله عن مصير والده وأمه ورغبته الملحة في التعرف عليهما يخبره حمد بالحقيقة:" **قلت له أكثر من مرة: يا سالمين أنا لا أعرف أبوك ولا أمك والدي اشتراك من تاجر من وادي حجر اسمه محمد عامر مقابل ثور .. عندما سمع سالمين بالثور، أهتز مكانه، صمت للحظة ثم جهش بالبكاء، وقال لي : أرجوك يا سيدي لا تخبر أحدا بحكاية الثور، أريد أن يكون سر بيني وبينك إلى يوم القيامة، وخاصة أولادي وأحفادي لا أريدهم أن يعرفوا أنه قد تم بيعي مقابل ثور** "[٢].فحال سالمين كحال الكثير من العبيد غيره في حضرموت الذين لا يعرفون آباءهم أو أمهاتهم، فمن تم بيعه في السوق وهو صغير وأمه وأبوه بيعوا في مكان آخر في حضرموت أو البلدان المجاورة، والبعض منهم تم اختطافهم وهم صغارا لا يعرفون شيئا عن حياتهم [٣]. وتأتي قصة (ابن محفوظ) لتدل على تفشي سلطة (تجار العبيد) عندما يأخذون أبناءهم عنوة لعدم قدرتهم على سداد الدين، فهذا (مرعي) يهدد محفوظ بأخذ طفله وبيعه إن لم يأخذ نقوده " **إن لم تعطني فلوسي شفني بأخذ ابنك هذا الصغير وأبيعه** "[٤]. وتزداد سلطة تجّار العبيد حين أباحوا لأنفسهم استغلال الجسد ، فأشارت الرواية إلى سلطة (مرعي) تاجر العبيد الذي يقوم باغتصاب

١ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٢٦-٢٧.

٢ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦١.

٣ انظر : باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦١.

٤ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦٢

بنات السُّود وزوجاتهم بالقوة عند غياب أهلهم [١]، وهو لا يكتفي بذلك بل يصطحب معه صديقه لفعل الشيء نفسه، فأصبح يفعل ما يشاء ببناتهم دون رادع يردعه[٢] ، أنه الخوف من السلطة القاهرة التي أجبرت السُّود على السكوت . إن إدانة الروايات للنيوليبرالية بأنها "**الهمجية الثانية التي تقتل رجلاً وتأخذ كل شيء بينما تعد و تتحدث عن الحرية**". إن موضوع الشخص المحفوف بالمخاطر في ظل نظام السلطة قد تم تدجينه و تطبيعه. مع الحفاظ على الوهم السطحي للحرية والإرادة الحرة. "**فقد أصبح هناك تناقضا بين ما تدعو إليه الليبرالية البورجوازية من استقلال وتحقيق الذات، والواقع اليومي للمجتمع الذي يكشف عن تناقضاتها**"[٣]. تدور الحياة بسالمين لينتقل للعيش في جدة، يتحرر من عبوديته بعد أن حصل على الجنسية بمساعدة (حمد) وتحول للعمل بالتجارة بعد أن كانت حكرا على الأغنياء [٤]، فسالمين " **تحول إلى إنسان باحث عن المال في جدة بعد سنوات العبودية في حضرموت وأصبح يحقق رغباته بعد ما كان محروما من الحرية تحول إلى تاجر يملك ملايين**"[٥].سعى سالمين لمناداته بالشيخ بدلا من العبد "**جعلتهم ينادوني بالشيخ سالمين بدلا من العبد، فكلمة العبد أرهقت أذني خلال سنوات طويلة** "[٦].سعى سالمين ليتحرر من ماضيه الذي يطارده ويذكره بالعبودية والذل والهوان، تخلص من جيناته بتهجين جينات ابنه وأحفاده، حين زوج ابنه فتاة من أصول تركية، سالمين أراد تهجين الماضي بالحاضر، والعبودية بالحرية، واللون الأسود

١ انظر :باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦٣

٢ انظر :باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦٣

٣ غولدمان، لوسيان : البنيوية التكوينية والنقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١١٠.

٤ انظر : باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٧٩.

٥ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦٦.

٦ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٧٩.

بالأبيض[١]. على الرغم مما حققه سالمين من ثراء إلا أن عقدة النقص ظلت تؤرقه فهو ما زال في نظر (حسن) ابن سيده (حمد) و (سوسن المكاويه) زوجته، (العبد والخادم) . يقول :"**أنا مجرد خادم لها ولأسرتها، برغم جنسيتي السعودية ما زلت أشعر بالضيم والقهر يعتصر قلبي** "[٢]، فلم تستطع الثروة التي حققها أن تنفي عنه ماضيه القديم (عبوديته) وشعوره بالنقص عقدة الماضي الذي أفسدت حاضره " **بعد ما حققته من نجاحات على المستوى الشخصي أو المستوى العائلي أشعر بنقص عن بقية البشر ... أحلام تحققت لي في جدة إلا حلم وجود أمي وعدم منع الناس بمناداتي بالعبد شكلي ولون بشرتي تجعل البعض يناديني بالعبد**"[٣]. ويقول :" **العبودية تلاحقني منذ الصغر وهي عقدة الماضي والحاضر فلا تتركني في سبيلي كلما أحاول نسيانها تلاحقني في المنام ، حلمت أكثر من مرة بمحمد سالم يجوب شوارع كبيرة ليست كمنطقة بضة في دوعن ، مدينة كبيرة وهو يقول بصوت متقطع ، أكثر وحشية من قبل "عبد للبيع ، عبد للبيع، من يشتري يا ناس ؟ هذا سالمين العبد للبيع بسعر مغرٍ ... يتداخل الحلم مع صوت محمد سالم أحدث نفسي في الحلم كيف أنني عبد وأنا تاجر في جدة ، أنا سالمين يا ناس أنا صاحب الفنادق الفخمة والمحلات الكبيرة في جدة ...انقطع الحلم استيقظت من نومي أحمد الله أنه ليس حقيقة وأنه كابوس مزعج**"[٤]، يتكرر الحلم على سالمين مذكرا إياه بماضيه وبمحاولات بيعه على يد محمد سالم . فالتحول الذي حدث لشخصية (سالمين) من الفقر والعبودية إلى التحرر والثروة ، يعقبه تحول في القيم والأخلاق، التي تحولت إلى أخلاقيات وقيم الطبقة الثرية التي تفتقر إلى القيم الإنسانية وتتسم بالوحشية والتسلط ، فسالمين مازال

١ انظر : باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٧٣.

٢ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٩٧.

٣ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ١٠٥.

٤ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

يحتفظ ببعض عقد الماضي البعيد و وحشيته فها هو يمتنع عن مساعدة صديقة في العبودية (مبروك) عندما كان يعاني العوز والحاجة [١]. وهو يصور حال الفقير الذي يخرج مساء بعد خلو الشوارع ليأكل مما في النفايات دون مساعدة " **صرت أترقب ذلك الشخص الغير واضح الملامح وهو يخرج من مخدعه في الليل، متوجها كعادته إلى برميل القمامة بكل هدوء ووقار، لا يرفع رأسه إلى الاتجاهات الأخرى فقط إلى هدفه برميل القمامة الممتلئ ببقايا سكان الحارة، أصمت أنظر إليه وهو يحاول السرعة في البحث عن الطعام أو بقايا طعام، ويأخذ كل ما ينفعه من الطعام ويعود أدراجه بسرعة فائقة لكي لا ينكشف أمره، أردت أن أناديه وأعطف عليه، تراجعت لكي لا أفضح أمره ..**"[٢] ،ويقول : " **بدلا من أن أبحث عن أصل الشخص الذي يتسلل كل ليل إلى برميل القمامة من أن أبحث عن نفسي ومن أكون ..**"[٣] إنه اللا إنسان " **الإنسان في المدن العربية، أكثر وحشية من ذي قبل، تحولوا إلى كتل متحجرة لا تشعر بوجع الآخرين** "[٤] . ورواية (**رائحة القرفة**) تجسد حياة البؤس والفقر والحرمان التي عاشتها عليا في أحد الأزقة مع أسرتها، تصف حنان خروج عليا وعودتها إلى حياة الحرمان:" **تنسحب كلصة، تمضي إلى ذلك الزقاق الضيق القذر الذي خرجت منه، بين أكوام الصفيح، وبكاء الأطفال الحفاة، الأطفال العراة الذين يلعقون مخاطهم، ويتدلون من حاويات القمامة، كأغصان برتقال محروق** "[٥]، خرجت عليا وهي في دهشة من موقف حنان التي ظنت أنها لن تفرط فيها عندما وصفتها " **بالمتسولة القبيحة ذات البثور السوداء "، ثم تتساءل عليا " كيف تصفها الآن بالمتسولة القبيحة ؟ كيف**

١ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٨٤-٨٥.

٢ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ١٠٢.

٣ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ١٠٣.

٤ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٨٤ .

٥ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ١٢.

تحولت العينان الجميلتان إلى حريق؟"[1]، تتذكر عليا حياتها السابقة بعد طردها من قبل حنان" **ينفض جسد عليا بإحساس جليدي عن صور في ذهنها المشوش، لحكايات الموت بردا، وسط شارع خاوٍ ورصيف قذر، لذلك كانت تقضي نهاراتها تحلم بالليل الذي يسمو لها إلى ملكة** "[2]. إنها حياتها الماضية حياة الشارع ، مع أبناء الشوارع الذين قاسمتهم الحياة ،إنه خوف الطفولة الذي سكنها خوفها من التحرش والاغتصاب الذي تعرضت له في طفولتها ، ولسان حالها يقول : هل ستعود لحياتها الماضية مرة أخرى؟ " **الخوف من شيء مجهول لم تعرف كنهه يوما، مع أن طعم الخوف سكن قلبها، منذ زمن بعيد لكن غشاوة كانت تفصلها عنه، غشاوة رقيقة وهشة لن تزيدها صلابة كل التجارب التي ستعيشها في سنواتها القادمة، فهي محفورة حتى أعمق نقطة في قلبها، لم تستطع السنوات التي ابتعدت فيها عن عالم الطفولة أن تمحو من عينيها ذلك الارتجاف القلق، والتشنجات الحادة في وجهها..**"[3]، لم تكن عليا ضحية المجتمع وحدها بل كانت حنان ضحية أخرى، حتى وإن عاشت حياة الطبقة المخملية لكنها لا تستطيع تقرير مصيرها عاشت حياة فرضت عليها، تزوجت بزوج لم تحبه، مصاب بعجز جنسي لذا وصفته "**بالتمساح العجوز**" ، نظرت للمرآة في لحظة المكاشفة/الاعتراف بالحقيقة، نظرت حنان الهاشمي إلى صورتها في المرآة :" **أنا المرآة، ومن منّا لا تعرف عن نفسها أكثر مما تعرفه الأخرى**"[4] ، ما تلبث أن تتحول صورتها في المرأة إلى صورة مسنة تشبه حنان ، إنها أمها التي تخرج من أعماقها وتعبس في وجه ابنتها ، تخاف من أمها وتلف رأسها بملاءتها ثانية.[5]

١ يزبك، سمر : رائحة القرفة ،مصدر سابق ص ١٤.

٢ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ١٤

٣ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ١٦.

٤ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ٢٠.

٥ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ٢٥.

المحور الثالث: اللغة والأسلوب وتشكل سلطة الخطاب :

تظهر التراكيب الدالة على النور والظلام/السواد والبياض؛ لتدلل على الرق والعبودية في مقابل السلطة والحرية .فبرز اللون الأسود في الروايتين حيث شكل أهم ملمح من ملامح رواية التشرد حين تتناول الروايتان معاناة الفقراء وأصحاب البشرة السوداء، وقد انعكس ذلك على الصور واللغة، فكانت (عقدة اللون الأسود) عقدة سالمين التي جعلته يشعر بالدمامة والمهانة، والطبقيّة والرق والعبودية، حين اعتبر مأساته في لونه الأسود هذا اللون جعله يقنع في صميم نفسه بأن لونه كريه وهو لون الرق والعبودية فتولد في أعماقه مركب النقص جعله يندفع للتطهر من خلال تزويج ابنه وأحفاده بنساء ذوات البشرة البيضاء. لم يشبع المال نهم سالمين، فلم تعد هذه الأموال وهذه الثروة كافية لغسل أردان العبودية التي ما زالت تحاصره، فقرر التمرد على جسده ولونه عشق النساء البيض المعاكسات للون بشرته ، ولعل في سواد لونه ما يشعره بالعبودية والعجز، فقرب النساء البيض منه وقدم لهن الأموال والهدايا، كان يستمتع بهذا التحول الجنسي عندما يخلط الأسود بالأبيض[١] . عقده سالمين وسواده المفرط دعته؛ لأن يجمع أبناءه ذات يوم في مجلسه ونصح كل واحد منهم ألا يتزوج من اللون الأسود :" **لا تتزوجوا سودة أو عبدة مثل عرقكم ومن لا يسمع نصيحتي لا أعرفه ولا يعرفني ومتبرئ منه إلى يوم القيامة ، وإن نوى أحدكم الزواج عليه أن يتزوج بيضة ولو من أسر وعوائل فقيرة ، أهم شيء السواد لا يظهر على عيالكم ، وإذا ربي طول بعمري بغيت باشوف عيالكم غير عن بقية أبناء السود** "[٢] .

١ انظر : باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ٦٦.

٢ باطويل ، عمار الطويل : سالمين ، مصدر سابق ، ص ٦٧-٦٨.

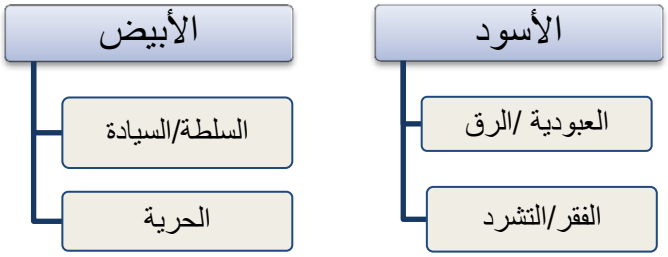

دلالة اللون الأسود

والأبيض في رواية سالمين

وتأتي شخصية عليا في رواية رائحة القرفة حيث كان اللون الأسود يذكرها بحياة التشرد والفقر والقمع والاذلال التي عاشتها، إنها "**الخادمة السوداء القذرة** "، و"**السمراء القاتمة** "[١]. ويقترن باللون الأسود دلالة الضوء والظلام، الظلام يتيح لشخص عليا الانتقام من السيدة والسيد عندما تحمل زمام السيطرة، فيظهر التحول في الشخصية عندما أرادت الانتقام لنفسها وكرامتها من خلال تبادل الأدوار بين دور الجارية حينا والسيدة حينا آخر، إنه الليل/الظلام الذي يمنحها السلطة/ القوة/والسيطرة ويجعلها ملكة متوجة، " **تفكر بالتفاصيل، تفاصيل الليل الذي تحبه، وتنتظره ..تمسك صولجانها في النصف الأول من الليل تتحسس تاج سيادتها اللامرئي، تغفو قليلا وعندما تصحو تتناوم في سريرها مرة أخرى، جاهزة لا ستدعاء السيدة في النصف الثاني تسلل إلى غرفة سيدها ..قبل طلوع الفجر بقليل تعود إلى غرفتها، تستحم وتنام كقتيلة ، فهي تعرف أن النهار قادم، وستطلع منها رداء السمر، وتعود إلى تلقي الأوامر** "[٢].

١ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ٢٩-٣١.

٢ يزبك، سمر : رائحة القرفة ، مصدر سابق ، ص ١٥

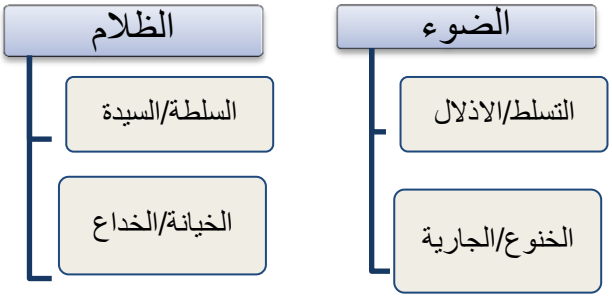

دلالة الضوء

والظلام في رواية رائحة القرفة

تتجه الشخصيات الروائية لرفض التمايز العنصري وتقسيم الناس إلى أسياد وعبيد "التمايز العنصري وهو لون من ألوان التعصب والتفرقة بين البشر ، ومحاولة تقسيمهم على أساس عرقي أو طبقي بدافع التعالي العنصري، الذي يرى في الغير صورة أدنى من صورته ، كما يرى فيه إنسانا لا يستطيع أن يرقى إلى مستواه بشكل من الأشكال لذلك فهم بدافع من هذه العنصرية يرون أنفسهم مؤهلين لقيادة الناس واستعبادهم "[١]؛ لذا تتجه الشخصيات للثورة على هذه الأنظمة العنصرية والطبقية من خلال البحث عن الحرية المفقودة، فتتحول الشخصيات إلى شخصيات ناقمة حاقدة لا تنظر للحياة إلا من منظور القوة والانتقام، ومقابلة السوء بالسوء، والعدوان بأشد منه . فيبرز توظيف الجسد/الحركة في الروايتان كوسيلة للانتقام، فسمر يزبك في رائحة القرفة اهتمت بإعطاء الجسد مساحة كبيرة من الرواية، ولعلها تريد أن تشير إلى (عبودية الجسد)، وهي عبودية القرن الواحد والعشرين عندما تتحكم القوي النيوليبرالية في الإنسان وتستعبده فيتحول ملكا لها . فجسد حنان السيدة الثرية صاحبة المال والسلطة، جسدٌ مستبدٌّ، متسلطٌ، سلطويٍ يمارس نزواته وينشر

١ انظر: قميحة، مفيد: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، ط١/١٤٠٤-١٩٨١، دار الأفاق بيروت ، ص ٤٥٩ وما بعدها .

عهره. أما (عليا) الفقيرة والمشردة فجسدها مقموع، مهمش، مقهور، ويحضر جسد الزوج (كجسد وسيط) بين عليا وحنان ، أنه الأداة التي وظفتها عليا للانتقام من حنان، فجسده بارد وضعيف. والكاتبة من خلال ذلك تعلي من سلطة الجسد الأنثوي على حساب سلطة الجسد الذكوري، ويأتي اللون الأحمر للدلالة على الإعلاء من سلطة الجسد/الشهوة.

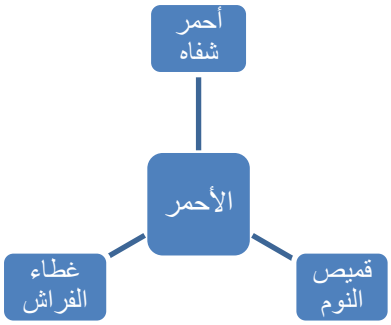

دلالة اللون الأحمر

في رواية رائحة القرفة

ويقترن باللون الرائحة ،ومنها تأتي دلالة العنوان (رائحة القرفة) التي ترتبط بسلطة الجسد عند حنان ، إنها رائحة الشموع العطرية الفاخرة والصابون الذي تستخدمه حنان، ورائحة حاويات الزبالة التي كانت تأكل وتسكن بالقرب منها عليا، لعقد المفارقة بين حياة الأغنياء والفقراء .

نتائج الدراسة : توصلت الدراسة لعدد من النتائج نجملها في الآتي :

١- تؤكد الروايتان على وعي الكُتاب بالتعبير عن قضايا مجتمعهم ومنها قضية التشرد والعبودية .

٢- جسدت الروايتان الصراع الطبقي في أبشع صوره وهشاشة إنسان القرن الواحد والعشرين وافتقاده للقيم الاجتماعية والإنسانية .

٣- الإعلاء من شأن الجسد من خلال حضوره الطاغي في النصوص، مما يؤكد افتقار الإنسان للقيم النفسية والروحية .

٤- تؤكد الروايتان على الارتباط الوثيق بين القيم الإنسانية والطبقة الاجتماعية حيث وجدنا تحولا في قيم الشخصيات تبعا لتغير طبقتها الاجتماعية .

٥- تشابه السمات العامة للشخصيات المشردة والفقيرة من خلال اتصافها بسمات كالضعف، الانهزامية، الاستسلام حين تم استغلالها من قبل الطبقات الاجتماعية الثرية .كما تشابهت السمات العامة لشخصيات الطبقة الاجتماعية الثرية من خلال اتصافها بسمات كالاستغلال، التسلط، الوحشية .

٦- التقارب الكبير في الأسلوب الفني بين الروايتين من خلال الاستعانة بتوظيف اللون والرائحة والحركة للدلالة على المعاني النفسية لقضية التشرد والعبودية .

المصادر والمراجع :

١) ابن منظور : لسان العرب ،دار صادر، بيروت ١٩٩١.

٢) باطويل، عمار الطويل : سالمين، دار فضاءات، عمان الأردن ، ط١/٢٠١٥

٣) البحري، حمد الأمين: البنيوية التكوينية ، من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ومنشورات ضفاف(الرياض) ط١/٢٠١٥.

٤) بدوي، أحمد زكي: معجم المصطلحات والعلوم الاجتماعية، د.ط، بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٢.

٥) حسن ، وسن محمد : ظاهرة تشرد الإناث بين التهميش والاندماج ، دراسة ميدانية دار تأهيل الأحداث المشردات في مدينة بغداد ، مجلة كلية التربية للبنات ، المجلد ٢٥(٤) ٢٠١٤.

٦) دراج، فيصل : نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٩.

٧) دراج، فيصل: الذاكرة القومية في الرواية العربية من زمن النهوض إلى زمن السقوط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٨.

٨) سعيد، إدوارد : الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب بلبنان ط٣/٢٠٠٤

٩) عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول ،ط١/٢٠٠٨، عالم الكتب .

١٠) غوركي، مكسيم : المتشردون، ترجمة: عبدالمعين الملوحي، دار نينوى، سورية–دمشق،ط١/٢٠١٦.

١١) غولدمان، لوسيان: الإله الخفي، ترجمة د. زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة والإعلام، دمشق ٢٠١٠ .

١٢) غولدمان، لوسيان: علم اجتماع الأدب، منشور ضمن كتاب تيارات نقدية محدثة، اختيار وترجمة وتقديم جابر عصفور، ط٢/٢٠٠٩، المركز القومي للترجمة .

١٣) غولدمان، لوسيان: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة بدر الدين عروكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريا ، ط١/١٩٩٣.

١٤) غولدمان، لوسيان: العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة د.يوسف الانطكي، مراجعة د.محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦

١٥) غولدمان، لوسيان، وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢/١٩٨٦.

١٦) قميحة، مفيد: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ط١/١٤٠٤-١٩٨١، دار الأفاق بيروت.

١٧) لحمداني، حميد: النقد الروائي والأيدلوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط١/١٩٩٠

١٨) لوكاتش، جورج : الرواية، ترجمة مرزاق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، د.ط، د.ت .

١٩) مرتاض، عبدالملك : في نظرية الرواية، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٨.

٢٠) يزبك، سمر : رائحة القرفة، دار الآداب، ط٣/٢٠١٥.

21) Butler, Judith. Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence. London: Verso, 2004. Couldry, Nick. Why Voice Matters: Culture and Politics after Neoliberalism. London: Sage،2010.

22) Foster, Hal. “Towards a Grammar of Emergency.” New Left Review 68 (2011): 105 – 118 “Precarious: Hal Foster on the Art of the Decade.” Artforum 48.4 (December 2009): 206 – 209, 260.